منهجية ابن ظهيرة في كتابه
((الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف))

سند أحمد عبد الفتاح (*)

الملخص

يعتبر المؤرخ ابن ظهيرة أحد مؤرخي أسرة بني ظهيرة ، تلك الأسرة الشهيرة التي ظهرت علي مسرح الأحداث منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي . ولسوء الحظ لم ينل هذا المؤرخ حظه في كتب التاريخ والتراجم رغم علو مكانته وسعة علمه ، فجاء الحديث عنه مختصرا في عدة سطور .

لذا وقع علي عاتق الباحث دراسة هذا المؤرخ دراسة تفصيلية من خلال ما كُتب عنه في المصادر ، ومما ورد في سطور مؤلفه " الجامع اللطيف" والذي يتناوله الباحث جملة وتفصيلا .

ويتناول هذا البحث دراسة هذا المؤرخ و كتابه " الجامع اللطيف " من حيث :- المولد والنشأة وثقافته وطبقته الاجتماعية ، ودراسة وافية لمؤلفه من حيث التصنيف والمحتوي ، والمرجعية التاريخية له، ومنهجه في الكتابة التاريخية خلال تلك الفترة .

* أستاذ مساعد بقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة شمس

Ibn Zahira's Methodology in his book " Al Jame'a Al Lateef fi Fadl Makkah w Ahlha wa Bena'a AlBait Al Shareef '

Sanad Ahmed Abelfattah

Abstract

The Historian " Ibn Zahira " is one of the historians of " Bani Zahira " family , the famous family since the sixth century in Islamic history / 12th AD.

Unfortunately this historian hasn't had enough studies of the historians and biography in spite of his knowledge and status, that they mentioned him briefly in few lines only.

So the researcher studied this historian detailed study through what was written about him in the sources, and what he wrote in his book " Al Jame'a Al Lateef. "

This search study this historian and his book " Al Jame'a Al Lateef " from : his birth, origination, culture, social class, and inadequate study to his book from : classification, content, historical reference, and his method in historical writing in that period.

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على رسولنا ونبينا الكريم محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد

لكل حضارة عبر عصور التاريخ صفاتها التي تميزها عن غيرها من الحضارات الأخرى التي تكسبها طابعاً مميزاً خاصاً عن الحضارات السابقة عليها واللاحقة بها . وقد كانت الحضارة الإسلامية باعتراف الجميع شرقاً وغرباً من أعظم الحضارات التي عرفها العالم لما تحويه من صفات إنسانية وعالمية هدفت إلى خير الإنسان وسعادته والعمل على السمو به إلى أعلى المستويات روحياً وفكرياً ومعيشياً.

من هذا المنطلق فقد حفلت المكتبة الإسلامية عبر العصور الإسلامية المتعاقبة بالكثير من المصادر والمخطوطات التي تناولت الحديث عن (مكة المكرمة) باعتبارها البؤرة التي خرج منها الإسلام وخرجت منها أعظم حضارة إنسانية عرفها العالم وهي الحضارة الإسلامية ، ونشأ من بين المدارس التاريخية ما يعرف بالتأريخ للمدن ، وعكف مؤرخو تلك المدرسة على ذكر أدق التفاصيل لإحدى المدن الإسلامية البارزة وصفاً ودراسةً وتمحيصاً ؛ وعلى رأسها المدرسة الحجازية نظراً للمكانة التي تمتعت بها في نفوس المؤرخين روحياً ومعنوياً وتاريخياً .

ومن بين تلك المصادر التي لا حصر لها عن مكة المكرمة برز ((ابن ظهيرة)) في كتابه (الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف) ، والذي قسم كتابه إلى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة؛ فصّل فيها كل ما يتعلق بتلك المدينة المقدسة وتطورها التاريخي والعمراني ، فتعرض لبداية أمر الكعبة وذكر مكانتها الجليلة، وبناء البيت العتيق ، وكسوة الكعبة ، وفضل الطواف بالبيت العتيق والطائفين به ، وفضل مكة المكرمة وحكم المجاورين بها ، وفضل الحرم وحُرمته والمسجد الحرام ، وفضل أهل مكة ووجوب احترامهم ، وبئر زمزم ، وأمراء مكة عبر العصور الإسلامية المختلفة ، وأهم المزارات التي ينصح بقصدها من قبل وفود الحجيج .

لذا ومن خلال ذلك المصدر الهام عن تاريخ مكة المكرمة يتناول الباحث إشكالية المنهج عند ابن ظهيرة من خلال موضوع بعنوان((منهجية ابن ظهيرة في كتابه الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف)) ، متناولاً هذا المؤرخ دراسة ميكروسكوبية في ظل ندرة المعلومات الواردة عنه من ناحية ، وفي ضوء تفكيك النصوص الواردة بين ثنايا مؤلفه من ناحية أخرى ، وذلك من خلال عدة محاور : -

المحور الأول : _ ابن ظهيرة المولد والنشأة والثقافة .

المحور الثاني : كتاب ((الجامع اللطيف)) : التصنيف والمحتوى .

المحور الثالث : المرجعية التاريخية لكتاب ((الجامع اللطيف)) .

المحور الرابع : منهجية ابن ظهيرة في كتابه ((الجامع اللطيف)) .
وختاماً بإجمال أهم النتائج ووضع ابن ظهيرة في الميزان (الإيجابيات والسلبيات) ، وثبت بأهم المصادر والمراجع .

المحور الأول : ابن ظهيرة المولد والنشأة والثقافة : -

تعد أسرة بني ظهيرة من الأسر العلمية المشهورة بمكة المكرمة ، وظهر نجم هذه الأسرة على مسرح الأحداث منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، وتبوأ أفرادها مناصب علمية وقضائية مرموقة ، وتركوا لنا تراثاً جمّاً متنوعاً في مختلف الفروع ، واستمرت تؤدي دورها العلمي حتى القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي ؛ وشهدت المصادر لهم بالعلم والفضل فذكر المحبي أن " بيتهم بيت علم وفضل بالحجاز"(١).

ولقب أفراد تلك الأسرة بالقرشي المخزومي ؛ حيث يرجع نسبهم إلى الصحابي وليد بن الوليد بن المغيرة (٢) بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي صحابيّ رسول الله – أخو الصحابي خالد بن الوليد – أما لقب بني ظهيرة الذي اشتهر به علماء تلك الأسرة فيعود إلى أحد أجدادهم وهو عطية بن ظهيرة بن مرزوق القرشي المخزومي المكي٦٤٧ه ؛ الذي لم يحز أية مناصب علمية في مكة المكرمة ،غير أن أكثر مشاهير تلك الأسرة كانوا من نسل ابنه أحمد بن عطية الذي خلف من الأولاد أربعة (ظهيرة –علي– محمد – عبد الكريم) ؛ وهؤلاء يرجع الفضل إليهم في نفوذ وشهرة تلك الأسرة في الفوز بحظ العلم والمناصب الدينية كالقضاء والإفتاء(٣)، أضف إلى ذلك أنهم لعبوا دوراً هاما في الحياة السياسية والاجتماعية في مكة؛فحظوا بأرفع المنازل عند أمراء مكة الذين دأبوا على إشراكهم معهم في الأمور الهامة في الدولة .

والجدير بالذكر أنه إبان الحقبة المملوكية تم كتابة سير لأعظم مشاهير تلك الأسرة عرفاناً بدورهم الثقافي في إثراء الحركة العلمية في مكة على مدى ما يقارب ستة قرون من الزمان ؛ فنجد المؤرخ الكبير عمر بن فهد يترجم لعلماء تلك الأسرة في كتابه(المشارق المنيرة في ذكر بني ظهيرة)، كما أشار الزبيدي بين ثنايا مؤلفه الكبير (تاج العروس) لكتاب بعنوان "البدور المنيرة في سادة بني ظهيرة".وقد بذل الدكتور الهيلة جهداً مضاعفاً في حصر من قاموا بالتأريخ لمكة المكرمة عبر العصور فكان نصيب أفراد أسرة بني ظهيرة ما يزيد على العشر أفراد تبوءوا أرفع المناصب ، وأسهموا في إثراء الحركة العلمية في بلاد الحجاز بمؤلفاتهم القيمة ، ودورهم الإداري في تولي المناصب رفيعة المستوى كقاضي القضاة ، وخطابة الحرمين الشريفين وغيرها (٤) .

والثابت من خلال تراجم بني ظهيرة أنه كانت لهم حلقات علمية للتدريس بصفة رسمية في المدارس الدينية لاسيما المسجد الحرام ؛ بحكم أن تعليم الطلاب وتربيتهم من أهم أعمالهم ؛ زد على ذلك تولي بعضهم مناصب قضائية مثل كمال

الدين أبو البركات ظهيرة ٨٢٠هـ الذي تولى منصب قاضي جدة في القرن التاسع الهجري ؛ كما تحدثنا المصادر عن اقتناء بعض أفراد تلك الأسرة للمكتبات القيمة ؛ مثل جلال الدين محمد بن محمد (٧٩٥-٨٦١هـ) وأبو البركات محمد بن محمد (ولد في ٧٨٩هـ) .

فضلاً عن ذلك كشفت المصادر أن علماء تلك الأسرة صنفوا مؤلفات في مختلف العلوم كالحديث والفقه والصرف والنحو والأدب والشعر والتاريخ ؛ غير أن أغلب كتاباتهم اقتصرت بدرجة كبيرة على الحديث والفقه تأليفاً وتدريساً .

كما أشارت المصادر إلى أن تلك الأسرة كانت لهم مقابر خاصة بهم في مكة ؛ أورد صاحب (بلوغ القرى) أنها كانت في مقابر(معلاة) وتقع في بداية طريق الحجون على يمين المتوجه إلى الحرم المكي ، ودفن بتلك المقابر كثير من الصحابة[٥] .

ومما لاشك فيه أن مؤرخنا ابن ظهيرة ظلمنا بعدم ترجمته لنفسه بين ثنايا مؤلفه ؛أسوة بما سبقه من الفقهاء كالسخاوي والسيوطي وابن العديم وغيرهم من الفقهاء والعلماء ، وزاد الأمر صعوبة أن أغلب المصادر التاريخية وكتب التراجم لم تتعرض بالترجمة له– أسوة بجدّه وابنه- رغم عظم مكانته ورفعة شأنه ، ورغم أنه سليل " أسرة بني ظهيرة " العلمية الفقهية التي حظيت بشهرة عريقة منذ القدم على الصعيد العلمي وعلى الصعيد الوظيفي .

والجدير بالذكر أنه لم يتعرض لترجمة هذا المؤرخ الفقيه القاضي سوى بعض المصادر والمراجع منها : مرداد في كتابه"المختصر من كتاب نشر النور" ، وذكر أن المعلومات الواردة في ترجمته عن ابن ظهيرة جاءت نقلاً عن كتابين هما القطب النهروالي في تاريخه المخصوص بالحوادث، وكتاب"صاحب تنزيل الرحمات"، بالإضافة إلى الزركلي في كتابه "الأعلام"، و عمر رضا كحالة في كتابه"معجم المؤلفين"، والدكتور"الهيلة" صاحب كتاب"التاريخ والمؤرخون في مكة"، وعبد الله بن عبد الرحمن في كتابه "أعلام المكيين"، وجميعها إشارات مقتضبة عن هذا القاضي المؤرخ الكبير .

وقبل الخوض في مولد ابن ظهيرة ونشأته وصفاته الخُلقية والعلمية نُبرز إشكالية الاسم واللقب والكنية والتي وردت مختلفة بين ثنايا المصادر والمراجع التي تناولت ترجمته أو ترجمة بعض أفراد أسرته ، فبصدد الترجمة لجدّه [٦] ذكرت المصادر المعاصرة لجدّه أن جدّ ابن ظهيرة هو" فخر الدين أبو بكر بن علي بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة [٧] بن مرزوق بن محمد بن علي بن عطيان بن هاشم بن حرام بن علي بن راجح بن سليمان بن عبد الرحمن بن حارث بن إدريس بن سالم بن جعفر بن هاشم بن الوليد بن جندب بن عبد الله بن الحارث بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي الظهيري الحنفي"[٨] ويميط ابن ظهيرة –

مؤرخنا - الغموض عن اسم جدّه مقتضباً بين ثنايا كتابه بقوله:" **وفي ذلك إشكال أشار إليه جدّي – أي جدّ المؤلف – قاضي القضاة شيخ الإسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين أبو بكر بن علي بن ظهيرة الشافعي**" [٩]، كما عرض المحبي لاسم مؤرخنا ونسبه بصدد الحديث عن ترجمة ابنه القاضي علي بقوله"**القاضي علي بن جار الله بن محمد بن أبي اليمن بن أبي بكر ...** " [١٠]،وأكد على صحة هذا النسب بقوله"**ونسبهم هذا مُصّحح مُسلّم لا غبار عليه** " [١١] .

وبالرغم من دقة النسب الذي ورد في المصادر التي ترجمت لجدّه أو لابنه إلا أن المؤرخين المحدثين اختلفوا حول اسمه ونسبه وألقابه حيث جاءت مقتضبة ؛ فذكر مرداد [١٢] بأنه **"جار الله بن القاضي أمين الدين بن ظهيرة المكي المخزومي الحنفي"**، واكتفى صاحب كتاب " تنزيل الرحمات"بقوله المقتضب:**"القاضي جار الله بن ظهيرة "**[١٣] ، على حين ذكره الزركلي بقوله :"محمد (جار الله) بن محمد (نور الدين) **بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة المكي المخزومي الحنفي ، جمال الدين**[١٤] ، كما أورد عمر كحالة اسمه بقوله : " **محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي ابن ظهيرة المكي، المخزومي، الحنفي (جمال الدين)"**[١٥]، وحذا حذو كحالة الدكتور محمد الحبيب الهيلة مع شيء من التغيير الطفيف بقوله **: محمد بن محمد بن أبي بكر بن ظهيرة القرشي المخزومي جمال الدين جار الله** [١٦] ، أضف إلى ذلك أن أول طبعة لكتابه : الجامع اللطيف " عام ١٩٢٠ كتب على عنوانها " **جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة القرشي المخزومي** [١٧] .

والثابت من خلال تلك الروايات أن جميعها يتكامل مع بعضها البعض ولم يوجد اختلاف إلا في الألقاب والكنى الخاصة بالمؤرخ أو والده أو جدّه ، بالإضافة إلى إغفال البعض أحياناً اسم المؤرخ أو اسم الوالد أو اسم الجدّ . فبالنسبة لأبيه فقد اختلفت الروايات سالفة الذكر إما في اسمه أو لقبه ، فعلى حين ورد لقب أبيه " **نور الدين**"في نسخة مطبعة الحلبي ١٩٢٠، نجده عند مرداد والقمي" **أمين الدين**"، وقد يكون الجمع بين الألقاب وارد في ذلك العصر لعظم مكانة تلك الأسرة وأفرادها ، كما اكتفى بعض من ترجم له بعدم ذكر اسم والده من الأساس .

أما بالنسبة للمؤرخ ابن ظهيرة فقد اتفقت معظم المصادر على الألقاب التي نعت بها وهي " **جمال الدين " و" جار الله "** ، وأتت فيما ترجم عنه إما بالجمع بين اللقبين أو بذكر أحدهما فقط دون الآخر ، وعلى هذا يمكننا الترجيح بعد تفكيك تلك النصوص الواردة في المصادر والمراجع أن اسمه هو **جمال الدين جار الله محمد بن نور الدين محمد بن فخر الدين أبو بكر بن على بن ظهيرة القرشي المخزومي الحنفي .**

وبالرغم من أن جميع المصادر والمراجع التي ترجمت لابن ظهيرة لم تذكر تاريخاً محدداً لمولده أو المكان الذي ولد فيه ، إلا أنها اتفقت على تاريخ وفاته عام

٩٨٦ هـ ؛ ولو ذكرت المصادر التي ترجمت له عمره حين وفاته لأمكن تحديد متى ولد بالضبط ؛ لذا نترك لابن ظهيرة يرشدنا داخل ثنايا مؤلفه " الجامع اللطيف " لبعض الإشارات التي تشحذ الأذهان وتسلط بعض الضوء على مكان مولده وتميط اللثام إلى حد كبير عن تاريخ مولده أيضاً ؛ فبصدد حديثه عن باب إبراهيم (عليه السلام) ذكر قائلاً :**" فقد أدركته وهو واطئ جداً وإنما رفع وعمل له هذه الدرجة في حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة في دولة الأشرف الغوري على يد الأمير خاير بك المعروف بالمعمار** [١٨]**. وقد شاهدت عمارته وأنا إذ ذاك في المكتب"**[١٩]. ويذكر في موضع آخر أنه"**عمرا في حدود عام سبعة عشر وتسعمائة أو الذي قبله في زمن السلطان الغوري"**[٢٠]، وبصدد حديثه عن عمارة المقام أورد أنه" **جدد بعد ذلك مراراً آخرها في حدود عام سبعة عشر وتسعمائة ، وقد أدركته وهو على هذه الصفة ، واستمر كذلك إلى عام أربعة وعشرين وتسعمائة"**[٢١] ، وهذه النصوص على قدر كبير من الأهمية وتكشف عن الكثير من الأمور ؛ منها أن ابن ظهيرة كان ملتحقاً بالكتّاب في مكة - وهو المكان المخصص لتعليم الصغار وتحفيظهم القرآن الكريم والسنة النبوية - في حوالي عام ٩١٥هـ أو ٩١٦هـ في عصر السلطان المملوكي الأشرف قنصوه الغوري ، وبما أن الطفل في العصر الإسلامي كان غالباً ما يلتحق بالكتاب في سن السادسة من عمره وحتى مرحلة البلوغ ؛ لذا فالمرجح أن ابن ظهيرة ولد بمدينة مكة أواخر العقد الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي [٢٢] . فضلاً عن أن الكلمات الواردة على لسانه توضح أنه كان مدركاً لأمور العمارة والتجديد التي حدثت بالبيت الحرام آنذاك ، وأن عدم تحديده التاريخ بدقة كان نتيجة صغر سنه لالتحاقه بالكتّاب خلال تلك الفترة ، وكلما زاد عمره نجده داخل مؤلفه يذكر التواريخ بدقة متناهية عكس الفترة الأولى من حياته .

تمتع ابن ظهيرة بالكثيرة من الصفات الأخلاقية والعلمية أهلته بأن يتبوأ مكانة مرموقة بين فضلاء عصره ؛ وقد تغنى بها المؤرخون ممن ترجموا له على قلة عددهم ؛ فعن صفاته الأخلاقية أُثر عنه أنه كان **" لطيف الذات ، حسن العشرة ،عظيم المروءة، محباً للفضل ، محسناً متكرماً متفضلاً** "[٢٣]،زد على ذلك تواضعه الجمّ ، فعلى عظم مكانته الاجتماعية يذكر بين ثنايا كتابه**" يقول الحقير مؤلف هذه الفضائل وجامعها"**[٢٤]؛ وهذا ليس بغريب على بيت وسمته المصادر بالفضل والعلم.

أما عن الصفات العلمية فحدث ولا حرج فقد وُسم ابن ظهيرة بـ " **العالم العلّامة فريد عصره وأقرانه"**[٢٥]،و**"مرجع العلماء ، وصفوة الفقهاء بمكة المشرفة ، وكان مفرد زمانه في العلم والتفضل والدين والتقوى "**[٢٦]، لذا لا غرو أن حمل لقب " **شيخ الإسلام** " [٢٧] ؛ وهو اللقب الذي ناله أعظم العلماء والفقهاء والقضاة في العصور الإسلامية السالفة كشيخ الإسلام ابن تيمية على سبيل المثال لا

الحصر.

ارتقى ابن ظهيرة السلم التعليمي منذ صغره إلى أن تبوأ أرفع المنازل في مكة المكرمة وجارى أقران عصره في العلم والفضل ؛ فكان" **شيخ الفتيا والتدريس ومرجع العلماء وصفوة الفقهاء بمكة المشرفة ،وكان مفرد زمانه في العلم والفضل والدين والتقوى**" (٢٨) .

ومما لاشك فيه أن تلك المكانة التي نالها ابن ظهيرة تعود إلى تتلمذه على أيدي فضلاء عصره من المؤرخين والفقهاء وأرباب الفتوى مما أثر في ثقافته الموسوعية ؛ فقرأ الفقه على يد الشيخ المؤرخ أحمد بن طولون (٢٩) ، والشيخ محمد النجمي ، والشيخ أحمد القدسي ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الغفار ، والشيخ بهاء الدين بن سالم(٣٠).

وبالإضافة إلى الفقه وعلومه فيبدو واضحاً أن ابن ظهيرة كانت له خبرة بعلوم اللغة من نحو وصرف وأدب وغيره ؛ يشهد بذلك ما ورد بين ثنايا مؤلفه من معلومات تخص هذا الفن من تلك العلوم؛ فعلى سبيل المثال يعلمنا في مؤلفه بقوله : **" اعلم أن للمبتدأ الواقع بعد لولا ثلاثة أصول ... الخ " وقوله : " أقول : فعلى هذا يكون العطف تفسيرياً "** (٣١) .

كان للرحلة العلمية التي تلقاها ابن ظهيرة على أيدي علماء عصره أن صار مؤهلاً لشغل أرفع الوظائف في عصره ؛ فتخبرنا النصوص الواردة في ترجماته المقتضبة أنه مارس مهنة التدريس والفتوى بمكة المكرمة (٣٢)، أضف إلى ذلك ممارسته مهنة القضاء؛حيث اقترن اسمه في كتاب " صاحب تنزيل الرحمات " بلقب القاضي،قائلاً في سنة وفاته ٩٨٦هـ :" **توفي القاضي جار الله بن ظهيرة**"(٣٣) ؛ بما يشي بممارسته لتلك المهنة الجليلة ، خاصة وأنه تتلمذ على جهابذة عصره من الفقهاء والعلماء ؛ ناهيك أن اسم والده وجدّه اقترنا أيضاً بلقب القاضي ؛ فقيل عن والده " **ابن القاضي أمين الدين**"(٣٤)، كما ذكر ابن ظهيرة نفسه أن جدّه تولى منصب قاضي القضاة بمكة المكرمة (٣٥)، زد على ذلك أن له ابناً من أبنائه لقب بالقاضي أيضاً وهو" **شيخ الشيوخ القاضي عليّ** "(٣٦)،وعليه فممارسته أمر القضاء والإفتاء بمكة المكرمة إبان عصره ليس بغريب على تلك الأسرة العلمية العريقة .

لم يُعلم عن حياة ابن ظهيرة الأسرية أية تفصيلات لاقتضاب من ترجم له من ناحية، ولأنه لم يُترجم لنفسه أو يُشر من قريب أو بعيد لذلك من ناحية أخري؛ غير أن الثابت أنه ترك ثلاثة من الأولاد وسمتهم المصادر بالفضل كأبيهم ؛ أحدهم هو شيخ الشيوخ القاضي عليّ (٣٧) بما ينم عن توارث الخلف عن السلف في تلك الأسرة ، فصار بيت بني ظهيرة بيت علم في مكة المكرمة عبر العصور الإسلامية.

على العكس من اختلاف المصادر التي ترجمت لابن ظهيرة عن بعض الأمور التي تخص حياته العلمية والوظيفية ، إلا أنها اتفقت جميعها على تاريخ وفاته في يوم الأحد الثالث عشر من شهر رمضان المعظم سنة٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م(٣٨) ،وذكر أحدهم أنه **"كان موجوداً سنة ٩٦٠هـ**"(٣٩)، وهو ما يدعم وفاته في التاريخ الذي

اتفقت عليه أغلب المصادر والمراجع . وعلى أية حال وُضع جثمانه وقت السحر أمام الباب الشريف ، وصلى عليه القاضي حسين المالكي [٤٠]، ووسمت جنازته بأنها مشهودة " **وازدحم الناس عليه ، وكثر المتأسفون على موته ، ولم يتأخر عنه أحد** "[٤١] .

أما عن الانتماء المذهبي لابن ظهيرة فقد كان حنفي المذهب عكس جدّه الذي ذكر صراحة أنه كان شافعي المذهب [٤٢] ، يشهد بذلك أن من ترجم له قرن اسمه(بالحنفي) [٤٣]، زد على ذلك ما ورد بين ثنايا مؤلفه " الجامع اللطيف " من عبارات تؤكد أنه كان على المذهب الحنفي ؛ ففي موضع خاص بالسجود على الحجر الأسود ذكر أنه:"**جائز عندنا وعند الشافعي وأحمد**"[٤٤]، وقوله في موضع آخر" **يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة خلافاً للشافعي** " وقوله:"**يجوز التصدق بلحوم الهدي عندنا على مساكين الحرم ... وعند الشافعي لا يجوز**"[٤٥]، كما أكد على ذلك بنقله عن أحد أئمة الحنفية بقوله : **" نقل الإمام أبو الليث السمرقندي من أئمتنا إباحة ذلك عن أبي حنيفة"**[٤٦]،اهيك أن ما نقله عن جدّه من معلومات عقّب عليها بقوله:"**وما ذكره الجدّ من التوجيه في غاية القبول ، وربما يوافق أصولنا"**[٤٧]، ويدعم ذلك كله ما ذكره المحبي من أن" **أول من تحنف من بني ظهيرة هو والده أبو اليمن** " [٤٨] .

أما عن الانتماء الطبقي لابن ظهيرة فمن الجلي أن ينتمي إلى طبقة العلماء التي تمتعت بمكانة مرموقة داخل المجتمع الإسلامي بحكم ما للدين ورجاله من سطوة في النفوس آنذاك ، وقد عاشت تلك الطبقة في رغد من العيش بما كان لها من أرزاق من الحكام والسلاطين ، ناهيك من انتمائه لأسرة عريقة في العلم كأسرة ابن ظهيرة لعبت دوراً علمياً هاماً في مكة المكرمة عبر العصور الإسلامية ؛ ، وسار المؤرخ ابن ظهيرة على نفس المنوال والخط الذي سارت عليه عائلته المرموقة فصار كأسلافه مثالاً للعلم والفضل وحسن الخلق ، لذا لا ريب أنه كان يعيش في رغد من العيش بفضل الوظائف المرموقة التي تقلدها والتي رفعته إلى أعلى الهرم الطبقي في المجتمع الإسلامي .

المحور الثاني : مؤلفات بن ظهيرة (التصنيف والمحتوي) :-

خلف ابن ظهيرة العديد من الفتاوى بحكم شغله منصب الإفتاء بمكة المكرمة ؛غير أنه لم يرد لنا من فتاويه أية نسخ خطية باستثناء القطعة الذي ذكرها الدكتور الهيلة وقال أنها محفوظة في مدينة ميونخ ، كما أهلته ثقافته وتتلمذه على يد الفقيه المؤرخ أحمد بن طولون أن ألف كتاباً في تاريخ وفضائل مكة المكرمة وأهلها منذ نشأتها إلى وقت عصره ، وُسم بأنه" **تاريخ منيف**"[٤٩]، سماه كما ورد في مقدمته " الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف" [٥٠]،وهو الكتاب المعنيّ به تلك الورقة البحثية ، ومحتوي هذا الكتاب تاريخي منسكي أدبي لغوي ؛ حيث جمع من شتى ألوان الكتابة التاريخية المتنوعة، وبتواضع منه اعترف ابن ظهيرة **"بكساد البضاعة ، وعدم التقدم في هذه الصناعة"** [٥١].

والثابت أن ابن ظهيرة ألف كتابه هذا في الفترة الواقعة بين عاميّ ٩٣٠هـ و٩٥٠هـ[٥٢]؛ يشهد بذلك النصوص الواردة بين ثنايا مؤلفه والتي ترجح ذلك ؛ فبصدد حديثه عن المقام المالكي والحنبلي يذكر أنه أدركهما**" ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب"**[٥٣]، كما أنه بصدد حديثه عن والي مكة في عصره أفاد بأنه **"مولانا السيد أحمد**" ؛ الذي**"استمر شريكاً لوالده مولانا السيد أبي نمي إلى عامنا هذا ؛ وهو عام خمسين وتسعمائة"**[٥٤] ، كما أن محتوى الكتاب لا يضم أية أحداث بعد عام ٩٥٠هـ ؛ مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه ألف كتابه في الفترة المذكورة سالفاً ، وأغلب الظن أن الأحداث التي عاصرها في مكة المكرمة منذ أن كان صبياً اعتمد في تسجيل أحداثها على الذاكرة أو على مسودات أو على السماع كما سيتبين في المحور الخاص بالمرجعية.

قسم ابن ظهيرة محتوى كتابه إلى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة ؛ جاءت جميعها في تناسق وترتيب غاية في الروعة ، وجهوده في الجمع بين روايات قدماء المؤرخين والمحدّثين والنساك جدّ عظيمة ؛ يكشف عن موهبة عالية وملكة عظيمة تمتع بها هذا القاضي المؤرخ ، فجاءت المادة العلمية لكل باب تخص العناصر التي تحدث عنها ، مع إبداء رأيه في الإشكاليات التي تعترضه من خلال الفقه الحنفي ، متمتعاً بحس نقدي عال المستوى .

ورغم أن أغلب المادة العلمية الواردة بين ثنايا مؤلفه منقولة من مؤلفات سابقيه ممن أرخوا لمكّة المكرمة، إلا أن المعلومات التي عاصرها عن مكة في القرن العاشر الهجري التي كانت جدّ هامة ، حيث رصد فيها مشاهداته وتعليقاته عن أعمال التجديد والعمران بالحرم المكي.

على أية حال تناول ابن ظهيرة قبل حديثه عن فضائل مكة وأهلها" فضل العلم الشريف وأهله ، وما ورد فيه من الآيات العظيمة والأخبار الكريمة والآثار الجسيمة"[٥٥]، فدلل على فضل العلم والعلماء بالنصوص الواردة في القرآن الكريم؛ مؤكداً أن **" ما جاءت به بالسنّة فأكثر من أن يحاط به"**[٥٦] .

ثم عرج ابن ظهيرة على ذكر أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما يدل على ذلك من الآيات والأحاديث والآثار والحكايات والعجائب ؛ فذكر الروايات المختلفة في تسميتها"الكعبة المشرفة"و"البيت الحرام"و"البيت العتيق" ؛ موضحاً أنه**"أول بيت وضعه الله للطاعات ، وجعله متعبداً وقبلة للصلوات، وموضعاً للطواف"**[٥٧]، ومُنبهاً أن الخلفاء دأبوا على هدم أية أبنية تعلو عن الكعبة وتشرف عليها إجلالاً وتشريفاً لها كما فعل عمر بن الخطاب [٥٨] ، ورغم عمليات الهدم لكل بيت يشرف على الكعبة من قبل الخلفاء إلا أن ابن ظهيرة يتحسر على التطاول في البنيان في عصره بقوله:**"فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسجد تؤذن بتركه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله "**[٥٩]، مدللاً آرائه بما ورد في القرآن الكريم من آيات ، ومن السنة النبوية من أحاديث صحيحة.

وبيّن فضل مكة بأنها أول من ظهر على وجه الأرض بعد خلق الله ثم المدينة المنورة ثم بيت المقدس ، كما أن أول جبل وضع فيها هو جبل "أبو قبيس" ، لذا عرفت بأم القرى أي أصلها ، موضحاً أن"أصل طينة النبي ﷺ من سرّة الأرض بمكة"(٦٠) .

تطرق ابن ظهيرة إلى ذكر أول مسجد وضع في الأرض ؛ مبيناً أنه المسجد الحرام ثم بعد ذلك المسجد الأقصى ؛ مدللاً على ذلك بحديث الرسول ﷺ الذي أقرّ بذلك ، غير أن ابن ظهيرة أراد فض إشكالية قول الرسول ﷺ أن ما بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى أربعين عاماً رغم أن الفترة الزمنية بين سيدنا إبراهيم وسيدنا سليمان تتجاوز ألف عام ؛ مرجحاً كلام جدّه الفخر في أن ما قام به النبيّان كان تجديداً للمسجد الأول الذي وضعه أبو البشر آدم(٦١) .

كذا ذكر ابن ظهيرة أقوال المؤرخين والنساك في تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، مستعرضاً ما ورد في فضل تحويل القبلة من نصوص قرآنية وأحاديث نبوية ، ودور اليهود الذين دأبوا على السخرية من الرسول ﷺ بقولهم:" **يخالفنا ويصلي إلى قبلتنا** "، ولم يمر هذا الموضوع دونما تعليق منه بأن " **المتنسكين إنما أرادوا تعظيم هذا البيت المشرف وجزيل الثواب** " (٦٢) .

بدأ ابن ظهير في حصر فضائل البيت الشريف وفضل المقام وسبب تسميته بذلك ؛ فتعرض لمقام إبراهيم عليه السلام ، واستعرض آراء المؤرخين والنساك التي قيلت في نشأته ، فإما أنه ظهر من خلال الوقوف عليه أثناء بناء البيت ، أو أنه وقف عليه حين طلب منه الآذان في الناس بالحج ، ولم ينس أن يشر إلى ارتفاعه معتمداً على أقوال المؤرخين في أن " غوص القدمين في المقام ملبس بفضة"، ولم يكتف ابن ظهيرة بعرض آراء المؤرخين بل نجده يدلي برأيه ويوفق بين الآراء التي قيلت فيه(٦٣).

تناول ابن ظهيرة ما أحدثته السيول بالمقام ؛ حيث جرفته ونقلته من موضعه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي فزع من ذلك الأمر ، غير أنه استطاع بعد مشاورة الصحابة أن يرده إلى موضعه الذي كان عليه زمن الخليل إبراهيم عليه السلام (٦٤) .

كما تعرض ابن ظهيرة لمسألة مسح المقام وتقبيله ، وذكر أن ذلك ليس من السنة في شيء ، وإنما الأمر جاء بالصلاة عنده ، إلا أن ذلك لا يمنع من "**الإتيان بهما على وجه التبرك ، فمن فعل ذلك تبركاً فالظاهر أنه لا بأس به**" (٦٥).

كما أفرد ابن ظهيرة حديثاً مطولاً عن الحجر الأسود مدعماً أقواله كعادته بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ؛ فتحدث عن أهم خواص هذا الحجر المميزة ، وأنه بمثابة عهد ومبايعة مع الله سبحانه وتعالى ورسوله ، لذا عرف باسم يمين الله في أرضه ، وأفرد الروايات التي أوردها القدماء من كون الحجر كان أبيض اللون ثم أخذ في الاسوداد بذنوب من قبّله ، وأن تقبيل الحجر ليس من باب

تعظيم الحجارة ، بل هو إتباع لفعل الرسول ρ[٦٦] . وأفاد بأن أحكام السنّة النبوية في تقبيل الحجر أن يكون بغير صوت أو تطنين أو لحس باللسان بشرط عدم الإيذاء والزحام والمدافعة ؛ **" لأن التقبيل سنّة وترك الأذى عن الناس فريضة ، فلا يجوز الإتيان بالسنّة مع ترك الفريضة "** ، خاصة مع وجود البديل وهو الإشارة إليه ، كما حظر على المحرم تقبيل الحجر إذا كان " مطيباً " ، فإن فعل ذلك " لزمه الدم وإلا فصدقة وهذا عندنا – أي الحنفية " ، كما منع المُحرم الذي أكل بصلاً أو ثوماً أو ما له رائحة كريهة أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة [٦٧] .

كذا تعرض ابن ظهيرة لإشكالية **" إزالة الحجر من موضعه والعياذ بالله "** [٦٨]، فذكر أن البعض يستلم ركنه ويقبله ويسجد عليه ، غير أن هذا الحكم لم يلق القبول عند الحنفية – ومنهم ابن ظهيرة – لكون الحجر يمين الله في الأرض وعلى المحرم تقبيله أو لمسه أو الإشارة إليه ، وتلك المكانة لا يمكن أن تنتقل إلى الركن في حالة عدم وجوده ، لأن **" من أصلنا أن نصب البدل بالرأي لا يجوز "** ، وفي تلك الحالة على المحرم استقبال الركن الذي فيه الحجر أثناء الطواف والإشارة إليه [٦٩] .

كما تناول ابن ظهيرة فضل الركن اليماني من خلال ما ورد عنه من أحاديث شريفة ؛ منوهاً بضرورة الإكثار من الدعاء به عند استلامه لأن الملائكة تؤّمن على دعاء المحرم وتستغفر له ، ونقل عن قدماء المحدّثين قول الرسول ρ " ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبور سبعين نبياً " ، لذا أكد في مؤلفه على البشرى من استجابة الدعوة فيه[٧٠] .

وحدد ابن ظهيرة (الملتزم) وهو ما بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، وذكر أن الدعاء فيه مستجاب ، واستعرض الكثير من أقوال القدماء الذين تمت الاستجابة لدعوتهم ، وعقب على ذلك بقوله : " قد دعوت الله فيه بأشياء فاستجيب لي بفضل الله ، **وأنا مستمر على الدعاء في أمور أخر ، منها حسن الخاتمة ، وأرجو الله إجابة الدعاء بحصولها "** [٧١] .

هذا وأفاد ابن ظهيرة أن الكعبة وملحقاتها من الأبنية موجود إلى عصره ، ولم تؤثر عليها الأمطار والسيول والرياح التي ما إن أتت على بناء إلا خرب بشهادة المهندسين المعماريين ، عكس البيت الشريف الذي " **لم تزل الرياح العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليه منذ بني وإلى تاريخه ولم يقع بحمد الله تغير في بنائه ولا خلل"**[٧٢] .

ذكر ابن ظهيرة بعض من فضائل البيت الحرام ؛ فحظر على أي شخص أن يأخذ شيئاً من مال الكعبة الذي يعرف " بالأبرق " [٧٣] وإلا ناله من جراء ذلك خطب عظيم ، كما كشف أن مفتاح البيت العتيق إذا وضع في فم الطفل الصغير الذي ثقل لسانه عجّل ذلك بسرعة الكلام لديه ، زد على ذلك أن الدخان يتصاعد للأعلى عمودياً لا يتحرك يميناً أو يساراً ، كذا من كرامات هذا البيت أنه من أراد به سوءاً

قسمه الله سبحانه وتعالى ؛ كما حدث مع قوم " تُبّع " ، وأبرهة الأشرم صاحب الفيل ، وكما حدث من الحجاج حين نصب المجانيق على الجبال المحيطة بمكة سنة ٧٣هـ ؛ فنزلت على المجانيق الصواعق وأردت جنوده قتلى تحته (٧٤) ، وأفاض ابن ظهيرة كثيراً في ذكر الأمثلة التي تدلل على عظمة هذا البيت وكراماته ، والتي نقلها من المؤلفات السابقة على عصره ، دون ذكر أية أحداث تخص ذلك الباب في عصره .

بدأ ابن ظهيرة في ذكر أدق التفاصيل التي تتعلق بعدد مرات بناء الكعبة المشرفة، وعدّد الروايات التي ذكرها المؤرخون القدماء وأوجه الشبه والاختلاف فيما بينها ، فمن قائل بأنها بُنيت مرتان ، وآخر خمس مرات ، وثالث عشر مرات ، مرجحاً أن يكون بنائها تم على ثلاث مرات ؛ الأولى على يد الخليل عليه السلام بنص القرآن الكريم ، والثانية بناء قريش بثبوت صحيح البخاري ، والثالثة بناء الزبير والحجاج بن يوسف الثقفي بثبوت أقوال المفسرين وأهل التواريخ؛ مع احتمالية أن يضاف بناء رابع وهو بناء الملائكة وآدم عليه السلام معاً (٧٥) .

وكشف ابن ظهيرة اختلاف مؤرخي مكة حول عدد المرات التي دخل فيها الرسول ρ إلى الكعبة ، فمن قائل بأنه ρ دخلها ثلاث مرات بثبوت أقوال المؤرخين أولاها يوم فتح مكة ، وثانيها يوم عمرة القضية ، وثالثها في حجة الوداع ، ويرى فريق آخر أنه ρ لم يدخلها سوى عام الفتح فقط ، غير أن دخوله لو مرة واحدة جعل الأئمة الأربعة يستحبون دخولها ، رغم أنه ρ أشفق على أمته من هذا الفعل ، لما قد يحدث فيه من ضرر أو تدافع (٧٦) .

ولدخول الكعبة المشرفة آداب يجب الالتزام بها ؛ منها نزع الخف والنعل ، وألا يرفع بصره إلى السقف وأن يكون مركزاً على موضع سجوده أسوة بما فعل النبي ρ ، ولا يتزاحم أو يتدافع عليها بما يحدث الأذى والضرر ، وألا يتكلم بداخلها إلا للضرورة أو لأمر بمعروف أو نهي عن منكر ، وأن يلزم قلبه الخشوع ، ويتباكى بالدموع قدر المستطاع ، وألا يسأل مخلوقاً أبداً لقضاء حاجته وهو داخل بيت الله (٧٧) .

وتبرز أهمية الدخول إلى قلب الكعبة أن الإنسان يخرج منها مغفوراً له ومعصوماً فيما بقي ؛ لذا علمنا الرسول ρ أن نكثر من التكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى والدعاء والاستغفار داخل الكعبة ، وحينما خرج من داخل الكعبة صلى ركعتين قُبُل البيت ؛ ويعلمنا ρ أن أمر القبلة قد استقر باستقبال بيت الله الحرام ولن ينسخ بعد ذلك ، زد على ذلك أنه ρ علم من بعده سنّة موقف الإمام حيث يقف في وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها ، وجميعها يشي بالتعظيم والتشريف لأمر الكعبة المشرفة (٧٨) .

أما بالنسبة لكسوة الكعبة فيعتبر التبابعة أول من كساها ، وأُثر عن ملكهم أنه آمن بالرسول ρ قبل مولده ، وبعد ظهور الإسلام كساها الرسول ρ ثم تبارى

الخلفاء والسلاطين في كسوتها عبر العصور الإسلامية بالديباج ومختلف أنواع الأقمشة ، ويُعد الخليفة العباسي الناصر لدين الله أول من كساها بالديباج الأسود ، على أن تُلبس القميص في أيام التروية لتكون آية للناظرين من الحجاج ، ثم يُعلّق عليها الإزار يوم عاشوراء ، وجرت العادة لدى الخلفاء والسلاطين أن تُخّلق الكسوة بالعنبر والمسك من أعلاها إلى أسفلها ، مع مراعاة عدم أخذ شيء من طيب الكعبة سواء للتبرك أو غيره [٧٩] .

ولم تقتصر كسوة الكعبة على الخلفاء والسلاطين بل تعداها للأفراد ؛ فكستها أم العباس بن عبد المطلب حين فقدته فنذرت إن وجدته فستكسوها الحرير وقد كان ، أيضاً كساها الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة بتكلفة قدرها ١٨ ألف دينار [٨٠] .

هذا واختلف في شأن كسوة الكعبة بين الأئمة ؛ فرأي أغلبهم أنه يجوز بيع كسوة الكعبة إذا تم الاستغناء عنها على أن يتم شرائها من بني شيبة لأن الأمر مفوض إليهم بذلك من قبل الإمام ، ويمكن أن يرجع الرأي فيها للإمام رأساً [٨١].

دأب الخلفاء والسلاطين على مر العصور الإسلامية على تحلية الكعبة بالذهب والفضة والمعادن النفيسة ، وتلك عادة بدأها عبد المطلب جدّ الرسول ρ واستمرت في العصر الإسلامي ، غير أن بعض الفقهاء حرم ذلك ، وأحله البعض الآخر ، واتفق الحنفية مع التحلية طالما أنها ليست من غلّة المسجد[٨٢]. بالإضافة إلى المعاليق النفيسة من الذهب واللؤلؤ والفضة التي دأب الخلفاء على إهدائها إلى الكعبة غير أنها كانت تتعرض للسلب بسبب تعدي الولاة عليها مثلما حدث في سنة ٤٦٢ هـ من قبل شريف مكة جراء الجفوة التي حدثت بينه وبين المستنصر بالله الفاطمي حاكم مصر [٨٣] .

توالى على سدانة (حجابة) الكعبة منذ القدم قبائل عدة منها جرهم وخزاعة ثم انتقلت إلى قصي بن كلاب الذي أعطاها لولده عبد الدار ثم منه إلى ولده عثمان ، ولم تزل على هذا المنوال حتى تولاها عثمان بن طلحة ومن بعده شيبة بن عثمان ؛ وحينما دخل الرسول ρ مكة وفتحها عام ٨ هـ طلب مفتاح الكعبة فأخذه ثم رده إليهم قائلاً : **" خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة إلى يوم القيامة لا ينزعها منكم إلا ظالم "** ، وتلك ولاية من النبي ρ فلا يجوز لأحد أن ينزعها منهم ، واشترط الفقهاء في من يتولى السدانة المحافظة على حرمة الكعبة وملازمة الأدب في خدمتها ، أما إذا لم يحفظوا حرمتها فيجوز أن يُجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمتها [٨٤] وجرت العادة أن تفتح الكعبة يوميّ الاثنين والجمعة ، ثم تغير إلى يوميّ الاثنين والخميس ، ثم اقتصر على يوم الجمعة فقط ، ثم أُعيد فتحها يوميّ الاثنين والجمعة مرة أخري[٨٥].

أما الرفادة فقد أحدثها قصي بن كلاب في الجاهلية بغية إطعام فقراء الحجيج

وكسوتهم ، واستمر هذا الأمر متوارثاً حتى أقامه النبي ρ والخلفاء من بعده ، ومن الخلفاء من خصص داراً للطبخ خلال مواسم الحج وأيام شهر رمضان المعظم [٨٦] .

كذلك تولى قصي بن كلاب السقاية وهي تخصيص أحواض بفناء الكعبة لسقي الحجيج ، وكانت تملأ بالماء أو اللبن المخيض أو الماء المخلوط بالزبيب أو اللبن والعسل ، وقد استمر هذا الأمر على قدم وساق حتى عهد المؤرخ ابن ظهيرة[٨٧] .

أفاض ابن ظهيرة في الحديث عن فضل الطواف بالبيت الشريف والطائفين به ، وفضل النظر إليه ، مع تحديد الأماكن التي صلى بها الرسول ρ حول البيت ، ودعم أقواله بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية التي تناولت فضل الطواف من قبيل قوله صلي الله عليه وسلم : " **من طاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت** " ، منوهاً بأن الأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة جداً ، وفيما ذكرته كفاية " [٨٨] ، وذكر أن على الطائفين أن يشغلوا أنفسهم بالدعاء والاستغفار ولا بأس من قراءة القرآن الكريم غير أن الدعاء أولى أسوة بالنبي ρ فإنه اشتغل بالدعاء دون القراءة " [٨٩] .

ونوّه ابن ظهيرة إلى علّة جعل الكعبة على يسار الطائف دون اليمين إلى اجتماع القلبين في جهة واحدة باعتبار أن القلب بيت الربّ ، والقلب في الجانب الأيسر ، أو أن باستقبال الطائف للحجر الأسود فيكون شقه الأيمن جهة باب البيت ، وشقه الأيسر جهة الركن اليماني ، والتوجه ناحية اليمين أولى [٩٠] ، وشدد على ضرورة قرب الطائف من البيت لينال الشرف والبركة ولسهولة الاستلام والتقبيل وذلك دون أن يحدث أذى أو يتأذى من الزحام ، كما أنه بذلك يبعد عن النساء " **لأن طوافهن غالباً من جهة حاشية المطاف** " [٩١] . وحظر على الطائف ملازمة البيت وتقبيله عندما يريد الطواف قبل استلام الحجر الأسود وتقبيله ؛ لأن سنّة النبي ρ هي الابتداء بالحجر فلا يجوز البدء بغيره[٩٢] .

وأبرز ابن ظهيرة فضل النظر إلى الكعبة المشرفة مستشهداً بحديث الرسول ρ **" من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسباً لله عز وجل ولرسوله وتعظيماً للبيت ، كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم**"[٩٣] .

هذا وحدد ابن ظهيرة المواضع التي كان النبي ρ يصلي عندها مستشهداً بما ورد في المصادر الإسلامية وهي : خلف مقام الخليل إبراهيم عليه السلام ، تلقاء الحجر الأسود ، بالقرب من الركن الشامي مما يلي الحجر ، وعند باب الكعبة ، وتلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة الغرب بحيث يكون باب العمرة في ظهره ، وبين الركنين اليمانيين ، وفي الحجر [٩٤] .

عدّد ابن ظهيرة فضائل حجر سيدنا إسماعيل عليه السلام باعتباره قطعة من الكعبة كما ذكر النبي ρ ذلك ، وأن فيه قبر إسماعيل وأمه هاجر ، وأن الدعاء فيه مستجاب ، وأفاد ابن ظهيرة بأنه كان خاضعاً عبر العصور الإسلامية لعمليات التجديد والعمارة ؛ كان آخرها في عصره عام ٩١٧ هـ في عهد السلطان المملوكي

الأشرف قنصوه الغوري ، وبمباشرة مهندس العمائر لديه الأمير خاير بك العلائي المعروف عند أهل مكة بالمعماري ، وتمت عمارته في تلك السنة مرتين الأولى بالحجارة والثانية بالرخام[٩٥].

وتعرض ابن ظهيرة لفضائل مكة المكرمة وأفاض في تفسير مسمياتها الواردة في القرآن الكريم ، إضافة إلى المسميات الأخرى التي أطلقت عليها والتي جاوزت الثلاثين اسماً حسبما نقل من المصادر الإسلامية[٩٦] ، كما أثار إشكالية المجاورة بمكة التي اختلف بسببها العلماء ؛ فعند الحنفية والمالكية والشافعية رأوا كراهة المجاورة بها لأسباب ثلاثة : أولها الخوف من التقصير في حرمتها حيث أن ملازمة المكان تفضي إلى قلة المهابة والتعظيم ، وثانيها : ازدياد الشوق بالمفارقة لتنبعث رغبة العودة إليها ؛ فخير لك أن تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة من أن تكون فيها متبرماً بالإقامة وقلبك في بلد آخر، وثالثها : الخوف من ارتكاب الخطايا بها فإن ذلك محظور كبير [٩٧] ، واستحب ابن ظهيرة المجاورة في مكة بدون سكنى ، مفضلاً السكنى والانقطاع في المدينة المنورة .

أفاض ابن ظهيرة بالحديث عن فضائل الحرم المكي وحدوده التي يحرم فيها الصيد ؛ مبيناً أن المسجد الحرام له أربعة استعمالات ؛ فإما أن يكون الكعبة ، أو الكعبة وما حولها من المسجد ، أو جميع مكة المكرمة ، أو جميع الحرم الذي يحرم صيده [٩٨] .

أما فضائل الحرم المكي فكثيرة لا تحصى ؛ منها أن الأنبياء كانوا يدخلون الحرم مشاة حفاة تعظيماً له ، وأن الصيد فيه محرم على الجميع سواء من أهل الحرم أو غيرهم ، كما يحرم قطع شجره وحشائش أرضه ، ويمنع غير المسلمين من دخوله مقيماً أو ماراً ؛ عدا الحنفية الذين أجازوا ذلك لمن لم يستوطن ، كذا أن اللقطة في الحرم لا تحل ملكيتها على الأغلب ، ويحرم دفن المشرك بالحرم ولو دفن نبش ، كما تضاعف الدية وتغلظ بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمداً أو خطأ ، ويحرم نقل حجارته إلى خارجه عدا البعض الذي أجاز نقل القليل على سبيل التبرك ما دام لم يؤد نقله إلى خراب ، كذا اختص الحرم دون غيره بذبح الهدايا ولا يجوز في غيره ، وإذا نذر الإنسان بقصده وجب عليه الذهاب إليه بحج أو عمره ، كما أن أجر الصلاة مضاعف في مكة وسائر الحرم مثله في ذلك مثل مضاعفة السيئة به ، وإذا نذر الإنسان النحر بمكة لزمه النحر بها وتصدق به على مساكين الحرم ، ويستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد في المسجد الحرام لا في الصحراء ، زد على ذلك أن الإنسان يؤاخذ بهمّه بالسيئة بالحرم حتى وإن كان بعيداً عنها .

وهكذا يظل كتاب " الجامع اللطيف " ثري بمحتواه خاصة في المادة العلمية الجديد التي حدثت بمكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ؛ من قبيل استكماله سلسلة ولاة مكة وحصره لهم حتى عام ٩٥٠هـ ، بالإضافة إلى بعض أعمال التجديد التي أحاطت بالحرم وملحقاته آنذاك، مضفياً بذلك

طابع الأصالة على المسميات التي تم استحداثها من قبيل : أبواب المسجد الحرام وغيره ؛ ثم ختم كتابه كسابقيه بأهم المزارات التي يستحب للمحرمين زياراتها والتبرك بها .

المحور الثالث: المرجعية التاريخية لابن ظهيرة :-

تمكن ابن ظهيرة من جمع مادة تاريخية واسعة النطاق ، محتوية على جملة لا يستهان بها من النصوص الجيدة التي وصلتنا ممزوجة بذاتية موردها باعتباره عنصراً مشاركاً في صنع جزء من أحداثها ، أو مشاهداً لها عن قرب لما تمتع به من وظائف مرموقة داخل الحرم المكي ، وقد مكنته تلك المكانة من الكشف عن جوانب هامة في النواحي السياسية والثقافية والعمرانية في فترة معاصرته مكة في القرن العاشر الهجري بالقدر الذي لا نجد له مثيلاً في المصادر الأخرى ؛ خاصة تلك التي تتعلق بتجديدات الحرم المكي وولاة مكة في الفترة التي عاصرها .

ومع تعدد مصادر المعرفة عند ابن ظهيرة ما بين النقل وشهادة العيان والسماع والمساءلة والوثائق وغيرها ؛ إلا أن النقل شكل المرجعية الأساسية خاصة فيما يتعلق بالعصور السابقة ، وبنظرة ثاقبة على كتاب " الجامع اللطيف " ودراسته دراسة ميكروسكوبية تبين رجوع ابن ظهيرة إلى مكتبة متكاملة من المصادر الإسلامية ؛ تنوعت ما بين مصادر تفسير القرآن الكريم وكتب تفسير الحديث ومصادر فقهية ومصادر تاريخية وكتب النسك الخاصة بمناسك الحج وكتب الجغرافيا والرحلات والأنساب ... وغيرها وصلت إلى ما يزيد عن المائة مصدر (كما هو موضح بالجدول التالي) بما يشي عن قدرة هائلة لدى هذا المؤرخ في الرجوع إلى هذا الكم من المؤلفات .

هذا ويمكن حصر ما رجع إليه ابن ظهيرة من المرجعية التاريخية خاصة من المؤلفات السابقة في ذلك الجدول التالي وقد تجاوز المائة مصدر من أشكال الكتابة التاريخية المختلفة ، ذكر أسماء المؤلفين وكتبهم مرة ، وأسماء المؤلفين فقط دون أسماء كتبهم مرة ثانية ، وأسماء الكتب دون أسماء مؤلفيها مرة ثالثة ، مع مراعاة أن ترتيب المصادر داخل الجدول جاء تبعاً لعدد مرات النقل التي نقل منها من كل مؤلف ؛ أي ترتيباً تنازليا من الأكثر إلى الأقل ، وأن هناك من المصادر ما ذكر اسم صاحبها دون ذكر اسم الكتاب ، والعكس هناك من المصادر ما هو مذكور عنوانها دون ذكر لاسم مؤلفها ، وجاء على النحو التالي :

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	عدد مرات النقل
١	الأزرقي	" تاريخ مكة " أو " أخبار مكة "	٧٦
٢	الفاسي	" شفاء الغرام " أو " شفائه "	٦٢
٣	أبو بكر جدّ المؤلف	شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل	٣٤
٤	المحب الطبري	" القرى "	٢٣
٥	ابن جماعة	" منسك ابن جماعة " أو " منسكه "	٢٢

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	عدد مرات النقل
٦	الفاكهي	" تاريخ مكة "	٢٢
٧	النسفي	" المدارك "	١٢
٨	البخاري	" صحيح البخاري "	١٠
٩	ابن حجر	شرح الباري	١٠
١٠	مسلم	" صحيح مسلم "	٩
١١	السهيلي	" الروض الانف "	٩
١٢	الزمخشري	" الفائق "	٨
١٣	الحسن البصري	" رسالة الحسن عن النبي ρ "	٨
١٤	ابن الأثير	----------	٨
١٥	الشيرازي	" الوصل والمنى في بيان فضل منى"	٨
١٦	السيوطي	" إتقانه"	٧
١٧	النووي	" الروضة "	٥
١٨	الكواشي	" تفسير الكواشي "	٥
١٩	القاضي عياض	" الشفاء "	٥
٢٠	زين الدين العراقي	" شرح الترمذي "	٤
٢١	ابن خليل	" منسكه الكبير"	٤
٢٢	الزركشي	----------	٤
٢٣	------	الصحاح	٤
٢٤	----	منهاج التائبين	٤
٢٥	القرطبي	---------	٤
٢٦	ابن جبير	رحلة بن جبير	٤
٢٧	الماوردي	----------	٤
٢٨	مغلطاي	الزهر الباسم	٤
٢٩	ابن المنير	---------	٤
٣٠	ابن حزم	" الجمهرة "	٤
٣١	أبو طالب المكي	" قوت القلوب "	٣
٣٢	عمر بن شبه	" أخبار مكة "	٣
٣٣	الكرماني	" منسكه "	٣
٣٤	ابن الحاج	----------	٣
٣٥	ابن عطية	----------	٣
٣٦	الغزالي	" الإحياء "	٣
٣٧	ابن الجوزي	" مثير العزم "	٣
٣٨	الطبري	----------	٣
٣٩	البكري	----------	٣
٤٠	الإمام مالك	" المدونة "	٢
٤١	الطرسوسي	----------	٢
٤٢	السبكي	----------	٢
٤٣	الجاحظ	----------	٢
٤٤	ابن كثير	" في تفسيره "	٣

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	عدد مرات النقل
٤٥	ابن العماد	" في سيرته "	٢
٤٦	ابن الصلاح	" في منسكه "	٢
٤٧	الواحدي	" تفسير الواحدي "	٢
٤٨	ابن الضياء	" منسكه البحر العميق "	٢
٤٩	ابن عبد البر	" التمهيد "	٢
٥٠	ابن اسحق	----------	٢
٥١	الاتقاني	" الغاية "	٢
٥٢	الذهبي	" طبقات الحفاظ "	٢
٥٣	ابن خلدون	---------	٢
٥٤	النووي	تهذيب الأسماء واللغات	٢
٥٥	القزويني	عجائب المخلوقات	٢
٥٦	ابن الملقن الشافعي		٢
٥٧	الثعلبي	----------	١
٥٨	الزجّاج	---------	١
٥٩	الأقفهسي	الدرة الضوية في هجرة خير البرية	١
٦٠	ابن قتيبة	----------	١
٦١	ابن أبي الدنيا	----------	١
٦٢	القطبي	" الأعلام "	١
٦٣	ابن بحرق الحضرمي	" سيرته النبوية "	١
٦٤	ابن النقاش	----------	١
٦٥	التوربشتي	شرح المصابيح	١
٦٦	الحليمي	" منهاجه "	١
٦٧	ابن مالك	شواهد على صحيح البخاري	١
٦٨	ابن سيد الناس	----------	١
٦٩	صلاح الدين خليل	---------	١
٧٠	أبو الليث السمرقندي	----------	١
٧١	سعيد بن منصور	" في سننه "	١
٧٢	ابن الجوزي	" الصفوة "	١
٧٣	الدميري	-------	١
٧٤	قاضي خان	شرح الجامع الصغير	١
٧٥	------	صاحب الهداية	١
٧٦	ابن الأثير	النهاية	١
٧٧	القاضي عياض	شرح مسلم	١
٧٨	ابن الأثير	المرصع	١
٧٩	ابن رشيق	العمدة	١
٨٠	الشيرازي	شرح صحيح البخاري	١
٨١	ياقوت	----------	١
٨٢	ابن عساكر	في فضل مني	١
٨٣	ابو سعيد	الوفا	١

م	اسم المؤلف	اسم الكتاب	عدد مرات النقل
٨٤	الفارسي	في منسكه	١
٨٥	ولي الدين العراق	شرح تقريب الأسانيد	١
٨٦	الملا	في سيرته	١
٨٧	الشافعي	الجواهر المكنونة في فضائل المضنونة	١
٨٨	المسعودي	----------	١
٨٩	النووي	شرح المهذب	١
٩٠	السيوطي	البدور السافرة	١
٩١	-------	صاحب المرآة	١
٩٢	الواقدي	--------	١
٩٣	الجندي	فضائل مكة	١
٩٤	الذهبي	--------	١
٩٥	القطبي الحلبي	--------	١
٩٦	السمعاني	في تاريخه	١
٩٧	النووي	الإيضاح	١
٩٨	الميورقي	-------	١
٩٩	ابن الجوزي	--------	١
١٠٠	التفاشي	" في منسكه "	١
١٠١	ابن الحاج	في منسكه "	١
١٠٢	ابن حبان	في صحيحه	١
١٠٣	ابن خلكان	----------	١

ومن الجدول يتضح أن أكثر من نقل عنه ابن ظهيرة في كتابه " الجامع اللطيف " كان من تاريخ الأزرقي الذي وسمه في عدة مواضع بقوله " صاحب تاريخ مكة " أو " أخبار مكة " أو " الأزرقي في تاريخه " . ثم جاء الفاسي في المرتبة الثانية في عدد مرات النقل بعد الأزرقي ذاكراً كتابه باسم " شفاء الغرام " أو " في شفائه " ، وقد وضح ابن ظهيرة في مقدمة كتابه اختصاصه بهذين المؤلفين واعتماده عليهما بدرجة كبيرة لعظم مكانتهما في المكتبة التاريخية التي تناولت التأريخ لمكة المكرمة قائلاً : " **وقد تصدى لتأليف فضائل مكة وأخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين أجلهم الإمام المتقن أبو الوليد الأزرقي ، ومن المتأخرين السيد العلامة المحرر القاضي تقي الدين الفاسي المكي** " [٩٩] .

وفي المرتبة الثالثة جاء جدّ المؤلف أبو بكر ابن ظهيرة ذاكراً كتابه مرة واحدة بين ثنايا مؤلفه بقوله " **شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل** " ، **ثم بعد ذلك استعاض عن ذكر اسم الكتاب بقوله " في منسك الجدّ نور الله ضريحه " أو " كذا حكاه الجدّ في منسكه "، أو" قال الجدّ " أو " نقل الجد في منسكه "** إلى غير ذلك . وجاء في المرتبة الرابعة المحب الطبري الذي نقل منه ابن ظهيرة نقولات كثيرة ذاكراً اسمه دون اسم كتابه أحياناً ، أو ذاكراً الاثنين معاً كقوله مثلاً : **" قال المحب الطبري " أو (لما روي عن المحب الطبري في " القرى ")** ، وقد أثنى ثناءً بليغاً عن كل ما نقله من كتاب " القرى " بقوله : " **هو كلام عظيم كاف شاف حرّي أن يكتب بماء الذهب في بياض الحدق ، وقد ذكره في كتاب القرى بأبسط من هذا ،**

واستدل بأمور معنوية قوية ظاهرة " [١٠٠] ، ويبدو أن ابن ظهيرة في أواخر كتابه وبصدد ذكره بعض مناسك العمرة لجأ إلى التخصص كعادته حيث نقل عن المحب الطبري من كتاب آخر ذكره بقوله : **" للمحب الطبري تأليف لطيف سماه عواصف النصرة في تفضيل الطواف على العمرة "** [١٠١].

ثم يأتي بعد ذلك منسك ابن جماعة الذي تلي جد المؤلف في عدد مرات النقل ولم يذكر اسم هذا المنسك ، غير أنه أشار إليه بقوله " **قال ابن جماعة في منسكه** " ، ثم جاء الفاكهي في الترتيب بعد ذلك في عدد مرات النقل ذاكراً كتابه بقوله **" الفاكهي في تاريخ مكة "** ، ثم النسفي بعد ذلك في الترتيب من حيث عدد مرات النقل وجاءت جميع إشاراته بصدد تفسير الآيات القرآنية التي يدعم بها أقواله ، ووسم تفسيره في أكثر من موضع بقوله: **" النسفي في تفسيره المدارك** " ، ثم جاء البخاري في الترتيب التالي حيث نقل عنه ابن ظهيرة الأحاديث الصحيحة التي رجع إليها في مؤلفه منوهاً عنه بقوله " **روى البخاري " أو " في البخاري** " ، ثم جاء ابن حجر العسقلاني في الترتيب في عدد مرات النقل واسماً ذلك بقوله : " شيخ الإسلام في فتح الباري " أو " ابن حجر في فتح الباري " ، ثم جاء صحيح مسلم في المرتبة التالية كقوله مثلاً " رواه مسلم في صحيحه " ، ثم السهيلي بعد ذلك ذاكراً كتابه وهو : الروض الآنف **" أو " السهيلي في روضه** " ، ثم يليه الزمخشري واسماً كتابه **"** الفائق **"** ، ثم الحسن البصري في " رسائله عن النبي ρ " ، ثم ابن الأثير بعد ذلك كما في قوله **" كذا في النهاية لابن الأثير** " ، ثم الشيرازي الذي وسم كتابه بـ (**الوصل والمني في بيان فضل مني " أو " مجد الدين الشيرازي في كتاب الوصل** " ، ثم بعد ذلك العلامة السيوطي ذاكراً كتابه بقوله **" السيوطي في إتقانه "** .

وهكذا يستمر الترتيب التنازلي للمؤرخين الذين نقل عنهم ابن ظهيرة إلى أن نصل إلى السواد الأعظم منهم والذين نقل عنهم مرة واحدة فقط (كما في الجدول)، غير أن نقله عنهم كان في غاية الدقة حيث رجع إلى المتخصصين منهم بصدد ذكره عن حادثة ما ، فالحادثة التي تستدعي ذكر الأنساب نراه يستشهد بكتب الأنساب ، والتي تستدعي كتب الطبقات يستدلل بكتب الطبقات ، والتي تستدعي التخصص في مدينة ما نراه يدعمها بكتب تناولت تلك المدينة ، والتي تستدعي ذكر مناسك الحج والعمرة – وما أكثرها – يستشهد بها لتدعم كتاباته ، حتى وإن كان الاستشهاد منها مرة واحدة فقط ، فعلى سبيل المثال جاء نقله قليلاً من العلامة ابن المنير إلا أنه كشف عن عظم تلك الشذرات النادرة التي نقلها عنه بقوله : " **انتهى ما قاله ابن المنير باختصار ، فرحمه الله من إمام محقق حرّي أن يُكتب كلامه بماء الذهب"**[١٠٢] .

المحور الرابع : منهج ابن ظهيرة في كتابه " الجامع اللطيف "

شهد القرن العاشر الهجري انقراض بعض أصناف الكتابة التاريخية ، واستجد بدلاً منها أجناس أخرى ذاعت وانتشرت وتعاظم رواجها كمّاً لا كيفاً ؛ فاختفت الكتابة عن القضاء والقضاة والتأريخ للكتّاب ، وندرت الكتابات عن أمور

الخراج نظراً لانتهاك العدالة وتدهور مكانة الكتّاب السياسية والفكرية ، وفي مقابل ذلك تفشت الكتابة عن سير الأمراء والوزراء والسلاطين ؛ أو ما عرف بظاهرة " مؤرخي السلطة " ، إما بأمر منهم ، أو كهدية لهم من قبل المؤرخين الذين تباروا في تمجيدهم وتبرير سياساتهم اتقاء لشرورهم من ناحية ، وطمعاً في القربى والمال من ناحية أخرى ، وعرفاناً بالجميل وحباً لهم من ناحية ثالثة ، ونظراً كونها كتبت في عهد الحكام ؛ لذا غُصت بالرياء والتملق والإسراف في ذكر فضائلهم ومآثرهم وشيمهم ، غاضة الطرف عن ذكر نقائصهم ومفاسدهم ، مما كون غلافاً من الشك حول مصداقيتها وموضوعيتها .

وبالنسبة لمناهج الكتابة التاريخية التي اتبعها مؤرخو القرن العاشر الهجري بصفة عامة فلم تخرج عن منهج علماء الحديث في جمع المادة العلمية وتدوينها كون معظمهم محدّثين أو فقهاء غلبوا الرواية على الدراية والسماع على العيان مما أضفى طابعاً دينياً على مناهجهم ورؤاهم نظراً لتركيزهم بالدرجة الأولى على استخدام السند في نقل الخبر بواسطة الرواة باعتبارهم " أهل ثقة " فنذروا اهتمامهم بالشكل على حساب المضمون .

وينتمي المؤرخ ابن ظهيرة إلى مدرسة الكتابة التي تُعنى " بالتواريخ الإقليمية المحلية " التي باتت وليدة ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه ، بحيث صارت نداً لكتابات الجغرافيين ، ويبدو واضحاً مدى تعاظم ظاهرة الإقليمية والمحلية كنتيجة طبيعية للتجزئة السياسية الناجمة عن سيادة النمط الإقطاعي ، وتعاظم النزعات الإقليمية والنعرات العنصرية والتعصب الطائفي من ناحية ، وكردّ فعل لتعاظم الأخطار الخارجية من لدن قوى أجنبية غازية كالصليبيين والمغول في الشرق ، والقوى النصرانية من النورمان ونصارى الأندلس في الغرب من ناحية أخرى ، الأمر الذي أفضى إلى العزوف عن الاهتمام بأخبار القوى العالمية كموقف فكري بعد العجز عن مواجهتها عسكرياً ، وكان من جراء تعاظم هذا النوع من الكتابات أن تحول الولاء للدولة إلى الأقاليم ، بل وغلب عليه الإسراف في ذكر الفضائل التي تتعلق بتلك المدن .

وتبعاً لذلك انبثقت فكرة الكتابة في " تواريخ المدن " ومزجها بالجغرافيا حيناً ، بحيث أصبحت المدن الكبرى ذات استقلال ذاتي أشبه ما يكون بنمط " المدينة – الدولة " ، لذا نجد بعض المؤرخين يتغنون في مؤلفاتهم بذكر فضائل مدنهم ومميزاتها الجغرافيا ومكانتها في تاريخ العصور السالفة ، مما أدى إلى تضخمها بالكثير من تفاصيل الأحداث وهو ما لفت انتباه المؤرخ ابن ظهيرة فحاول التخلص في كتابه من هذا التضخم كما سيرد بعد قليل .

على أية حال يُعد كتاب " الجامع اللطيف " ضمن الكتب التي تصنف ضمن كتب الفضائل التي تؤرخ لمدينة ما ؛ وهو لون من ألوان الكتابة التاريخية الذي يعرض لدراسة المدن دراسة ميكروسكوبية وافية من شتى الجوانب المختلفة سياسياً

واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً .

عرض ابن ظهيرة منهجية كتابه بمقدمة كتابه " الجامع اللطيف " موضحاً الدوافع التي وجهته لتأليف هذا الكتاب ؛ منها الفضل والجلال والفخر لأهل مكة والمجاورين بها ، فكل من جاور بيت الله الأمين أسبغ عليه الفضل والمنة **" فجار الله جدير بوافر الإنعام والحرمة "** (١٠٣) .

كما أن الكعبة الشريفة هي أفضل مساجد الأرض ، وأنها بيت الله الحرام ، وقبلة لجميع الأنام ، وأن مكة المشرفة هي البلد الأمين ، ومسقط رأس سيد المسلمين وأهلها هم خاصة الله من البشر ، الحائزون نهاية الشرف والفخر والظفر ، والمسجد الحرام فضله لا ينكر " (١٠٤) .

كما كشف ابن ظهيرة عن أن من أهم أسباب تأليفه لكتابه هو إسهاب السابقين في ذكر تاريخ مكة وتفصيلاتهم الكثيرة ، وأن الناس في عصره ضعفت هممهم وعزائمهم عن مطالعة التصنيفات الطويلة ، أو مراجعة المبسوطات ؛ فأراد هو الاختصار من ذلك قائلاً : **" غير أن الجميع قد أطالوا الكلام وبالغوا في الإسهاب ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب ، بحيث من أراد الإحاطة بذلك يحتاج إلى استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك ، وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخيره ، وآخر ما يحسن تقديمه "** (١٠٥) .

كما طال نقده أيضاً كتب المناسك التي بالغ بعضها في الاختصار المخل وبالغ بعضها في الإسهاب والاطراد ، وعبر عن ذلك بقوله **" فمنهم من أوسع العبارة وأطال بما يمكن أن يدرك بأدنى إشارة ، ومنهم من مال إلى الإيجاز والاختصار ، ومع ذلك لم تسلم عبارته من التكرار ، وبعضهم ضيق العبارة جداً ؛ بحيث أنه ذكر ذلك في نحو ست ورقات عدّاً ، فأخل حينئذ بما تعين أن يُذكر ، وأضرب صفحاً عن أمور وجب أن تثبت وتشهر "** (١٠٦) .

لذا سلك ابن ظهيرة منهج الوسطية والاعتدال في تصنيف مؤلفه ؛ فأراد أن يجعل من مؤلفه جامعاً لما في أسفار العلماء في هذا الفن دون اختصار مخل أو تطويل ممل ، وأن يكون تعليقاً لطيفاً **" عدة للقصاد ، سالكاً إن شاء الله تعالى سبيل التوسط والاقتصاد لقصور الهمم في هذا الزمان عن مطالعة المطولات ، ومراجعة المبسوطات "** (١٠٧) .

ووضح ابن ظهيرة أن منهجه في الكتابة يعتمد على استقصاء المعلومات من المصادر القديمة ناسباً كل معلومة إلى صاحبها ؛ مخلصاً نفسه من تبعة السؤال عن تلك المعلومات ، وملقياً بالعهدة على صاحب المؤلف الذي نقل منه ، وعبر عن ذلك بقوله : " **عازياً كل قول غالباً إلى قائله ، ومبينه لطالعه وسائله ، ليكون للواقف عليه عمدة ، وأخرج بذلك من الدرك والعهدة "** (١٠٨) .

ولما كانت نقولات ابن ظهيرة كثيرة من المؤلفات السابقة كثيرة ، فقد وضع

لنفسه منهجاً محدداً فيما يرويه من معلومات معاصرة شاهدها ورواها بنفسه ، أو آراء فقهية أدلى فيها بدلوه ؛ حيث ميزها في نسخته المخطوطة بمداد مختلف عن لون الكتابة الأصلي للنسخة مسبوقاً بكلمة " أقول " أو " بحث " وختمها بكلمة " انتهى" ؛ معبراً عن ذلك بقوله : " وما فتح الله به كلامي على سبيل البحث ميزته بقولي في أوله بما صورته أقول أو بحث وفي آخره انتهى ، أو والله الموفق بالقلم الأحمر ، وشرطت أن لا يخل الناسخ بذلك ليتميز عن كلام الغير " (١٠٩) .

وبقدر استيعاب ابن ظهيرة لمؤلفات السابقين التي نقل منها تجلت أمانته العلمية في الإشارة إلى أصحابها إلى حد كبير ، لذا خرج كتابه عبارة عن موسوعة تتعلق بتاريخ مكة قدم من خلالها دراسة بانورامية متكاملة عنها وعن كل ما يتعلق بها ، بل ولم يتحرج أن يُبد عدم معرفته ببعض المعلومات في بعض مواضع كتابه حتى تخرج معلوماته على قدر كبير من الدقة .

التزم ابن ظهيرة في مصنفه بقواعد البحث العلمي ؛ من نقد وتحليل واستنتاج ومقارنة وترجيح أحد الآراء عن نظيره وغيرها من الصفات التي غذت النزعة العقلية لديه بقدر كبير وجعلت تفكيره منظماً وتسلسل أحداثه منطقياً ، يشهد بذلك تمتعه بملكة النقد الذاتي قبل تعرضه لنقد الآخرين ، فنقد نفسه في مقدمته قائلاً : **" مع اعترافي بكساد البضاعة وعدم التقدم في هذه الصناعة** " (١١٠) فنراه يعقد المقارنات بين المصادر المختلفة التي رجع إليها تارة ، ويقوم بنقدها بكل موضوعية دون تحيز لمصدر عن مصدر تارة ثانية ؛ ويشير إلى اتفاق الروايات الواردة تارة ثالثة ؛ فعلي سبيل المثال لا الحصر يذكر في أحد مواضعه أن **" في هذه مناقضة لما قاله مالك في المدونة والله أعلم بالحقائق** " ؛ مدلياً برأيه بأنه " **لا مناقضة بين ما ذكره الأزرقي والقاضي عز الدين** " (١١١) .

وفي موضع آخر يذكر مرجحاً رأي أحد المصادر التي رجع إليها بقوله : " **لم أقف على نقل لأصحابنا في ذلك ، وما ذكره الجدّ من التوجيه في غاية القبول ، وربما يوافق أصولنا** " (١١٢) .وفي موضع ثان يذكر أن " **ما ذكره الفاكهي أصوب على أنه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك فيكون السبب مركباً** " (١١٣).

وفي نقد المصادر التاريخية التي رجع إليها ابن ظهيرة ؛ جاء نقده ليناً دون تجريح أو مخاصمة مع من نقل منه ملتمساً لهم الأعذار ؛ فيذكر في أحد المواضع أن " **ما نقله الأزرقي مجرد رواية لم يعضدها شيء فلا يعول عليه والله الموفق** " (١١٤) ؛ فهو هنا يبحث عن الدلائل التي تدعم الآراء التي ينقلها من المصادر التاريخية مما يشي بالجهد المبذول في نقده وتمحيصه للروايات التي نقلها ممن سبقوه .

زيّن ابن ظهيرة مصنفه بتقنيات البحث العلمي المتعارف عليها من حيث اللغة والأسلوب فجاء أسلوبه سلساً ولغته متقنة إلى حد كبير ، وزود الكتاب بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والاستشهادات الشعرية ، وجميعها جاء ليخدم موضوعات أبوابه التي تعرض لها داخل مصنفه ؛ ساعده على ذلك ثقافته التي أهلته إلى هذا الإتقان ؛ مع مراعاة أن أسلوب الكتابة التاريخية في ذلك العصر اتسم في الغالب

الأعم بالصنعة اللفظية والإسراف في البديع من كنايات واستعارات وتشبيهات وجناس ...الخ ، وبهرجة لفظية للوقائع إظهاراً للبراعة الأدبية ، حتى لو كانت على حساب المعنى ، غير أن هذا الأسلوب خفّ عند ابن ظهيرة لبراعته النحوية والأدبية ومحاولته التخلص من استطراد القدماء وتقديم مصنفه بصورة سلسة خفيفة .

أما بخصوص قرض ابن ظهيرة للشعر فقد حفل مؤلفه بالكثير من الاستشهادات الشعرية التي تتعلق بمكة المكرمة وآثارها ، والمرجح أنه كان ذواقاً للشعر دون قرضه ، ولم يرد ضمن ممن ترجموا له أنه خلق دواوين شعرية أو ما شابه ذلك . أما عن كثرة استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة عن السلف في مؤلفه فليس بغريب خاصة وأنه جزء من ثقافته الدينية

وفي حال استمرار ابن ظهيرة في سرد وقائعه التي تتعلق بتاريخ مكة المكرمة فإنه كان يقطع حديثه منوهاً بأنه سيتناولها مستقبلاً في موضعها بشيء من التفصيل ؛ من قبيل أقواله : **" إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار كما ستأتي مفرقة في الأبواب التالية في مكانها إن شاء الله تعالى مع مزيد بيان وإيضاح "** [١١٥] .وقوله : " **وسيأتي بيان ذلك في موضع هذا الجبل عند ذكر بناء الخليل إن شاء الله "** [١١٦] ، **وقوله : " وسيأتي الكلام على ذلك في محله مستوفي إن شاء الله "** [١١٧] .وحالما يأتي الحدث في موضعه الصحيح في مجرى الزمن الذي أشار إليه مسبقاً ، يحرص ابن ظهيرة على تنبيه القارئ بتناوله له من قبل ، مدعماً ذلك ببعض العبارات الإرشادية من قبيل : **" وقد تقدم الكلام عليه مستوفي "** [١١٨] و " وقد سبق بعض الكلام على ذلك في أول الكتاب " [١١٩] ؛وجميع تلك العبارات على قدر كبير من الأهمية كونها ترجع القارئ إلى أبواب وفروع الكتاب بكل سهولة ويسر .

وبالرغم من أن كتاب " الجامع اللطيف " تم نقل معظم معلوماته من المصادر السابقة له والتي عرض لها الباحث في محور المرجعية التاريخية ؛ إلا أن ذلك لم ينقص من حجم الجهد المبذول الذي بذله ابن ظهيرة في جمع تلك الروايات التفصيلية التي نقلها من الأقدمين ثم غربلتها وتنقيحها وتقديمها في صورة مبسطة كما أقرّ بذلك في مقدمته ؛ فجاء عرضه ممتعاً لتاريخ مكة المكرمة لا يصيب القراء بالملل .

زد على ذلك أن ابن ظهيرة أعطانا تفصيلات غاية في الأهمية بين ثنايا مصنفه في بعض الأمور الفقهية التي تخص مناسك الحج والعمرة ، مدلياً فيها بآراء الفقهاء السابقين ؛ ومركزاً بصفة خاصة على الفقه الحنفي الذي ينتمي إليه مذهبياً ، ناهيك من إضافاته القيمة التي عاصرها عن جوانب العمران وأعمال التجديدات التي جرت في مكة المكرمة والمسجد الحرام خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وأهم المهندسين المعماريين الذين قاموا بتلك الأعمال . أضف إلى هذا وذاك استكمال سلسة ولاة مكة المكرمة الذين شغلوا تلك الوظيفة خلال تلك الفترة التي عاصرها ؛ مستكملاً ما ذكره المؤرخون السابقون عن أعداد الولاة الذين حكموا مكة المكرمة منذ القدم وحتى العام الذي توقف فيه عن الكتابة في هذا الكتاب وهو

عام ٩٥٠هـ.

وهكذا يعد ابن ظهيرة أحد الأعلام البارزين في مكة المكرمة خلال حقبة القرن العاشر الهجري ؛ وهو استمرار لأحد أفراد أسرة بني ظهيرة التي لعبت دوراً مهماً وحيوياً على مدار ستة قرون ؛ أثروا الحياة السياسية والثقافية خلالها بوظائفهم التي تقلدوها من ناحية ، ومشاركتهم صنع الأحداث السياسية في مكة المكرمة من ناحية أخري .

ورغم ندرة من تحدث عن مؤرخنا ابن ظهيرة إلا أن الشذرات الواردة كشفت بجلاء عن مدى مكانة هذا المفتي القاضي المؤرخ الأديب ، لدرجة تجعل أنه من الإنصاف أن يُعطى قدره وتفرد له الدراسات المستقلة كأحد الأعلام الذين ترجموا لتاريخ مكة المكرمة ، وأنه بالرغم من وجوده في القرن العاشر الهجري إلا أنه سبق عصره منهجياً ؛ حيث اتبع منهجاً علمياً سليماً وتميزت كتاباته بالدقة والوضوح والسلاسة والأمانة العلمية والموضوعية في ذات الوقت .

الهوامش

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، جـ٣ ، المطبعة الوهبية بمصر ١٢٨٤هـ ، ص١٥٠ .

(٢) أورد ابن ظهيرة بين ثنايا مؤلفه " الجامع اللطيف " بصدد ذكره آداب دخول الكعبة ومنها خلع الخُف أن الوليد بن المغيرة هو أول من خلع خُفه إجلالاً وتعظيماً لها ، وعقب على ذلك بقوله : **" والوليد هذا هو جدّنا لأن نسب بني ظهيرة متصل به وكان إسلامه ..."** انظر: الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، تحقيق : على عمر ، القاهرة ٢٠٠٣م ، ص٩٤ .

(٣) ابن فهد ، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى ، ج١ ، القاهرة ١٤٢٥هـ ، ص١١٠-١١٥ ، ١٣٦-١٣٧.

(٤) انظر على سبيل المثال لا الحصر التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري،مؤسسة الفرقان مكة المكرمة ١٩٩٤م ، ص٨٨ ، ١٢٨-١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٦٠ ، ١٦١، ١٦٩ ، ١٨٤ ، ١٩٢ .

(٥) ابن فهد ، بلوغ القرى ، ج١ ، ص ٣٦٤ ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب، جـ٨ ، دار الكتب العلمية (ب.ت) ، ص٣٧٢ .

(٦) جدّ ابن ظهيرة هو الفخر صاحب كتاب " شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل " والذي أشار إليه مؤرخنا بين ثنايا مؤلفه " الجامع اللطيف " ، وتم عمل أطروحة علمية عن هذا القاضي تناولت تحقيق هذا الكتاب دراسة تفصيلية وافية ، للمزيد انظر : عبد الله بن محمد العصيمي ، شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل لفخر الدين أبي بكر بن علي بن ظهيرة ، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى ٢٠٠٩ ، وذكره صاحب كتاب " أعلام المكيين " بأن اسم الكتاب هو " شفاء الغليل ودواء العليل في حج بيت الرب العظيم الجليل " انظر: عبد الله بن عبد الرحمن ، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري ،ج١، مؤسسة الفرقان ٢٠٠٠م ، ص٨٨ .

(٧) السخاوي ، الضوء اللامع في أعيان أهل القرن التاسع ، ج١١ ، بيروت ١٩٩٨م ، ص٥٨ ، وللمزيد عنه انظر: ابن فهد ، الدر الكمين بذيل العقد الثمين بتاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش،بيروت ٢٠٠٠م ، ص١٢٧٧-١٢٨٣ .

(٨) السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الأعيان ، الولايات المتحدة ١٩٢٧م ، ص ١٧ .

(٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٦ ؛ وجدّه الفخر هذا هو صاحب كتاب " شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل " والذي أشار إليه مؤرخنا بين ثنايا مؤلفه " الجامع اللطيف " ، وتم عمل أطروحة علمية عن هذا القاضي تناولت تحقيق هذا الكتاب دراسة تفصيلية وافية ، للمزيد انظر : عبد الله بن محمد العصيمي ، شفاء الغليل في حج بيت الله الجليل لفخر الدين أبي بكر بن علي بن ظهيرة ، رسالة ماجستير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ٢٠٠٩.

(١٠) خلاصة الأثر ، جـ٣ ، ص١٥٠ ، والثابت أنه نفس النسب الوارد في المصادر التي أرخت لنسب جدّه ، مع بعض الاختلاف حيث أسقط " علياً " بعد محمد ، وبدلاً من " عطيان " ذكر" عليان " و " حارث " بدلاً من " حرب " وما ذكرناه في المتن - بحكم أن المصادر التي ترجمت لجدّه كانت معاصره له زمنياً - هو أقرب إلى الصحة .

(١١) المحبي ، خلاصة الأثر ، جـ٣ ، ص١٥٠ .

(١٢) عبد الله مرداد ، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، تحقيق: محمد سعيد العامودي ، أحمد علي ، ط٢ جدة ١٩٨٦ ، ص ١٥١ .
(١٣) مرداد ، المختصر ، ص١٥٢ نقلاً عن " صاحب تنزيل الرحمات" .
(١٤) الأعلام ، جـ٧ ، بيروت (ب.ت) ، ص٥٩ .
(١٥) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، ج١١ ، دمشق ١٩٥٧م ، ص٢٠٠ .
(١٦) التاريخ والمؤرخون في مكة ، ص٢٣٦ .
(١٧) انظر ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف ، ط١ مطبعة دار إحياء الكتب العربية مصر ١٩٢١م .
(١٨) خاير بك المعمار: باش مكة ومحتسبها وشاد العمائر السلطانية عندما كان يشرف على أعمال السلطان الأشرف قَانِصَوْهْ الغَوري المعمارية بها، وقام بالعديد من الأعمال المعمارية في مِصْر وبلاد الحجاز، منها في مِصْر عمارة أسوار وأبراج مدينة رشيد فكان مقيمًا فيها لأجل ذلك في شهر ربيع الآخر واستمر برشيد حتى شهر سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م عندما كان أحد المقدمين، وأنشأ خَان بأبراج على بابه بالعقبة، وجعل فيه الحواصل لأجل ودائع الحُجَّاجَّ؛ ومن أعماله في بلاد الحجاز بمكة المكرمة عمارة حجر إسماعيل υ حيث تم ترخيمه بالرخام الأبيض= =والأسود، وباب إبراهيم أحد أبواب المسجد الحرام في سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م، وأرخ لهذه العمارة بنقش وردت فيه أعمال السابقين من الخلفاء والسلاطين، وكان يحارب السلطان سليم فخرج في يوم الجمعة ٢٥ شهر ذو القعدة ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م في تجريدة لمحاربة ابن عثمان. للمزيد انظر: ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج٥ ، تحقيق محمد مصطفى، ط٢، الهيئة المِصْرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٣٩، ٩٤-٩٥، ١١٢، ١٢٧؛ الجزيري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، ج١، تحقيق:محمد حسن إسماعيل،دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢م ، ص١٠٠؛ عمدة الصفوة في حل القهوة، تحقيق :عبد الله بن محمد الحبشي، ط١، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ؛ الهيلة ، التاريخ والمؤرخون، ص٢٣٣.
(١٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٨١ .
(٢٠) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٩٢ .
(٢١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ١٨٧ .
(٢٢) لو ولد ابن ظهيرة خلال العقد الأول من القرن العاشر الهجري كما يرجح الباحث فسيكون قد جاوز السبعين من عمره وهذا ليس بغريب على أعمار تلك الأسرة ، خاصة وأن ابنه عليّ بلغ من العمر عتياً وقد جاوز التسعين من عمره انظر : المحبي ، خلاصة الأثر ، جـ٣ ، ص١٥٠ .
(٢٣) مرداد ، المختصر ، ص١٥١ ؛ اكتفى الزركلي وكحالة بقولهما عن ابن ظهيرة بأنه " فاضل " انظر : الأعلام ، جـ٧ ، ص٥٩-٦٠ ؛ معجم المؤلفين ، جـ١١ ، ص٢٠٠ .
(٢٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٧ .
(٢٥) مرداد ، المختصر ، ص ١٥٢ نقلاً عن كتاب تنزيل الرحمات
(٢٦) مرداد ، المختصر ، ص ١٥١ .
(٢٧) مرداد ، المختصر ، ص١٥١ ؛ عبد الله بن عبد الرحمن ، أعلام المكيين ، ج١ ، ص١٠٩ ترجمة رقم ١٦٩ .

(٢٨) مرداد ، المختصر ، ص١٥١ ؛ الهيلة ، التاريخ والمؤرخون / ص٢٣٦ ؛ عبد الله بن عبد الرحمن ، أعلام المكيين ، ج١ ، ص١٠٩ ترجمة رقم ١٦٩.
(٢٩) الهيلة ، التاريخ والمؤرخون ، ص٢٣٦
(٣٠) مرداد ، المختصر ، ص١٥١ .
(٣١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٨٣ .
(٣٢) مرداد ، المختصر ، ص١٥١-١٥٢ ؛ وذكر الهيلة أنه عُثر على أحد فتاويه في قطعة في مدينة ميونخ الألمانية ، انظر: التاريخ والمؤرخون ، ص٢٣٦
(٣٣) مرداد ، المختصر ، ص١٥٢ نقلاً عن كتاب صاحب تنزيل الرحمات .
(٣٤) مرداد ، المختصر ، ص١٥١
(٣٥) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٦ .
(٣٦) مرداد ، المختصر ، ص١٥٢ .
(٣٧) انظر ترجمته كاملة في المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، جـ٣ ، ١٥٠-١٥١ .
(٣٨) مرداد ، المختصر ، ص١٥١ ؛ التاريخ ، ٢٣٦ ؛ الصبحي ؛ وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم ، دار البشائر الإسلامية بيروت ٢٠٠٥م ، ص١٤٩ .
(٣٩) القمي ، الكنى والألقاب ، جـ١ ، مكتبة الصدر طهران ١٣٦٨هـ ، ص٣٤٥ .
(٤٠) نظمت الجمعية التاريخية السعودية ندوة بعنوان : الجزيرة العربية : تاريخ وحضارة وألقى فيها أ.د / عبد الله بن سراج مكي ورقة بحثية عن دور هذا القاضي في مكة إبان القرن العاشر الهجري بعنوان " القاضي حسين المالكي وجهوده الحضارية في مكة إبان القرن العاشر الهجري " ، ويمكن الإطلاع على النص الصوتي لتلك الورقة على شبكة المعلومات الدولية على موقع youtube.
(٤١) مرداد ، المختصر ، ص١٥١ ، ١٥٢ .
(٤٢) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٦ .
(٤٣) الزركلي ، الأعلام ، ج٧ ، ص٥٩ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ، ج١١، ص٢٠٠ ؛ مرداد ، المختصر ، ص١٥١.
(٤٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٢ .
(٤٥) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٠ .
(٤٦) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٥
(٤٧) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٢ .
(٤٨) خلاصة الأثر ، جـ٣ ، ص١٥٠ .
(٤٩) مرداد ، المختصر ، ص١٥٢ .
(٥٠) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٣ ؛ الزركلي ، الأعلام ، ج٧، ص٦٠ ؛ كحالة ، معجم المؤلفين ،ج١١ ، ص٢٠٠ ؛ الهيلة ، التاريخ والمؤرخون ، ص٢٣٦ .
(٥١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٣ .
(٥٢) يذكر الدكتور الهيلة أنه ألف كتابه خلال عام ٩٥٠هـ ، ومنهجية كتاب ابن ظهيرة ومحتواه العلمي لا يستقيم مع ذلك حيث يصعب عليه تأليف كتابه هذا في عام واحد فقط ، خاصة وأن لدينا من النصوص ما يحدد الوقت على وجه التقريب ، والذي يقارب ٢٠ سنة أو أقل بقليل .

([٥٣]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٨٩ .
([٥٤]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٨٤ .
([٥٥]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٥ .
([٥٦]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٦ وانظر نفس المعنى أيضاً في ص١٧ .
([٥٧]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٣ ؛ ذكر ابن ظهيرة أنه سمي بالبيت الحرام لأن الله حرمه وعظمه وحرم أن يصاد صيده وأن يختلي خلاه وأن يعضد شجره وأن يتعرض له بسوء ، وسمي بالعتيق لأنه أقدم بيت على الأرض أو لأنه يعتق زائره من النار أو لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار ، والأخير هو الذي رجحه ابن ظهيرة، انظر : الجامع اللطيف ، ص٣٢-٣٣ .
([٥٨]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٢ .
([٥٩]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٢ .
([٦٠]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٥ .
([٦١]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٦-٢٧ .
([٦٢]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٢٨-٢٩ .
([٦٣]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٥-٣٦ .
([٦٤]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٦ .
([٦٥]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٧ .
([٦٦]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٧- ٤٠ ، وأشار في موضع آخر أن إبراهيم عليه السلام طلب من إسماعيل حجراً يضعه ليكون علماً على بدء الطواف ، فنزل به جبريل عليه السلام من الجنة ، وحدث نزاع بين القرشيين حول من يتولى وضع الحجر الأسود في مكانه خلال إعادة بناء الكعبة ، واحتكموا إلى أول زائر عليهم فكان الرسول ρ فوضعه بيده الشريفة بعد أن أشركهم جميعاً في حمله ، انظر : الجامع ، ص٧٧ ، ٨٠ .
([٦٧]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٢ .
([٦٨]) ذكر ابن ظهيرة أن الحجر الأسود أزيل من مكانه أكثر من مرة على يد جرهم وإياد والعمالقة وخزاعة وآخرها على يد القرامطة عام ٣١٧هـ بواسطة أبو طاهر سليمان القرمطي الذي علقه في جامع الكوفة بغية أن يحج الناس إليها، واستمر في الكوفة إلى عام ٣٣٩هـ إلى أن اشتراه منه المطيع لله العباسي بمبلغ ثلاثين ألف دينار وأعيد إلى مكانه في العام المذكور بعد أن غاب عنه ٢٢ عاما ، انظر : الجامع اللطيف ، ص٤١ .
([٦٩]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٢- ٤٣ .
([٧٠]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٣ – ٤٤ .
([٧١]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٤٦- ٤٧ ، ذكر ابن ظهيرة أماكن أخرى يستجاب فيها الدعاء من قبيل : المستجار وهو ما بين الركن اليماني والباب المسدود في دبر الكعبة ، والحطيم وهو ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم وحجر إسماعيل ، انظر: الجامع اللطيف ، ص٤٧- ٤٨ .
([٧٢]) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٩ ، واستعرض بين ثنايا مؤلفه محاولات التجديد والترميم التي جرت في الكعبة في العصر الإسلامي منذ عصر الحجاج بن يوسف الثقفي وإلى القرن التاسع الهجري وما أحدثه الخلفاء والسلاطين من العمارة في الكعبة والمسجد الحرام . انظر : الجامع اللطيف ، ص٤٩- ٥٠ .

(٧٣) تروي المصادر أن النبي ρ وجد في الجب الذي في الكعبة سبعين ألف وقية من الذهب مما كان يُهدى إلى البيت الشريف ، وقد استخدم هذا المال في عمارة الحرم المكي ، ونُهي عن توظيفه لصالح الفقراء .

(٧٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٥١- ٥٢ ، وانظر للمزيد من الأمثلة عن مهابة هذا البيت وعظمته ص ٥٣- ٦٦.

(٧٥) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٦٧-٦٨ ، بدأ ابن ظهيرة نقله من المؤلفات السابقة تفصيلاً عن بنائها في كل مرة ، ومساحتها طولاً وعرضاً وارتفاعاً ، ويحسب له الحس النقدي في مقارنة الروايات بعضها البعض وتقنيد الرواية البعيدة عن المنطق وقبول العقل .

(٧٦) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٩٢- ٩٣ .

(٧٧) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ٩٤ -٩٥

(٧٨) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٩٦ .

(٧٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٩٩-١٠٠ ، ١٠٣ .

(٨٠) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠١ .

(٨١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٣ .

(٨٢) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٤-١٠٥

(٨٣) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٦- ١٠٧ .

(٨٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٧- ١٠٨ .

(٨٥) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١١٠ .

(٨٦) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٨- ١٠٩ .

(٨٧) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٠٩ .

(٨٨) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١١٤- ١١٥ .

(٨٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢٢ .

(٩٠) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١١٩ .

(٩١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢٢ .

(٩٢) ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص١٢٥ .

(٩٣) ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص١٢٥ .

(٩٤) ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص١٢٩ .

(٩٥) ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص١٣٠- ١٣٢ .

(٩٦) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٤٤-١٥٠ .

(٩٧) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٥١ .

(٩٨) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٦١- ١٦٢ .

(٩٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١١ .

(١٠٠) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢٧ .

(١٠١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢١ .

(١٠٢) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٦٥ .

(١٠٣) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١١ .

(١٠٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص ١١ .

(١٠٥) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢ .
(١٠٦) ابن ظهيرة الجامع اللطيف ، ص١٢ .
(١٠٧) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢ .
(١٠٨) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢ .
(١٠٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٢- ١٣ .
(١١٠) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١٣ .
(١١١) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٦ .
(١١٢) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٤٢ .
(١١٣) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٨٢ .
(١١٤) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٨١ ، وانظر أيضاً ص ١١٠- ١١١
(١١٥) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٣٤ .
(١١٦) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٧٢ .
(١١٧) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٧٧ .
(١١٨) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص٧٤ .
(١١٩) ابن ظهيرة ، الجامع اللطيف ، ص١١٣ .